فلسطين الديموقراطية :
هدف ، وخطة ، وحتمية تاريخية

الدكتور محجوب عمر

تحل الذكرى العاشرة للانطلاقة المسلحة للثورة العربية الفلسطينية وقد برزت شعاراتها اكثر فأكثر ، ليس فقط على الساحة العربية وانما ايضا على الساحة العالمية . ولم يكن من قبيل الحلم ، او الصدفة ، او المزايدة ، او التلويح للمساومة او الخداع والمراوغة ، الى اخر تلك الدوافع غير الموضوعية ، لم يكن من قبيل كل ذلك ان تقدم الثورة الفلسطينية من فوق منبر الامم المتحدة(١)، حلها المقترح لمشكلة تواجد اليهود في فلسطين بعد تحريرها:الا وهو فلسطين ديموقراطية يعيش فيها الفلسطينيون بكل طوائفهم مسلمين ومسيحيين ويهود في مجتمع ديمقراطي واحد .

ان المكان الذي احتله شعار **فلسطين الديموقراطية** في الاشهر الاخيرة ، كان ثمرة نضال مسلح طويل ، ومواجهة شجاعة رائدة ، لمشكلة هي من أعقد المشاكل على الجانبين معا . فلولا الثورة المسلحة ، وتفاصيل نضالاتها اليومية ، لما كان من الممكن فهم ، فضلا عن تقبل شعار « فلسطين الديموقراطية » من جانب معظم القطاعات الجماهيرية العربية التي عانت وتعاني من العنصرية الصهيونية ، والتي كان من المنطقي ازاء هذه المعاناة ، ان تندفع هي الاخرى الى عنصرية مشابهة مناقضة . ولولا هذه الثورة أيضا ، وممارساتها المنفتحة على كل القوى الثورية في العالم ، بل وبين اليهود أنفسهم ، لما أمكن ، كما لا يمكن في المستقبل ، طرح الحل الديموقراطي الفلسطيني لجانب من « المشكلة اليهودية » موجود في بلادنا ، وبالشكل الذي جعل قطاعات متزايدة من يهود الكيان الفلسطيني نفسه ، يتقبلون مبدئيا ، الدخول في حوار حول هذا « الحل المنشود » .

ومن قبل عام واحد ، بدا للكثيرين في أعقاب حرب اكتوبر / تشرين ١٩٧٣ ، ان مكان « فلسطين الديموقراطية » قد اخلي ، لتحل محله الحلول الجزئية او المرحلية . ولكن احداث الشهور الاخيرة ، اثبتت انه لا يمكن العزل بين « الموصوف » ومصدر « الصفة » ، بين الفلسطينيين وفلسطين . وانه عندما اضطرت نظم العالم الى التعامل مع « الفلسطينيين » بعد أن فرضوا وجودهم وشخصيتهم بقوة السلاح ، فان على هذه النظم باختلافها ان تحدد موقفها ايضا من « فلسطين » .

ومن حيث اراد « التسوويون » محاصرة النضال الفلسطيني في أعقاب حرب تشرين / اكتوبر ١٩٧٣ ، برزت « قضية فلسطين » كما لم تبرز من قبل طوال السنوات الماضية . وثبت ان سنوات النضال لم ، ولا يمكن ان تذهب هدرا . وبات واضحا للجميع « محورية » قضية فلسطين في النضال القومي العربي كله ، بل وبالنسبة لنضال قوى التحرير الوطني العالمية كلها . فمنذ عام قال كيسنجر : ان الصراع انتقل